

مقدونية قبل الإسكندر الكبير

أولاً- تعريف العصر الهلنستي:

يقسم المؤرخون عادة الحضارة اليونانية أو الإغريقية إلى قسمين، و يجعلون الحدّ الفاصل بينهما الفتح الإسكندري، و يُسمون القسم الأول بالحضارة الهيلينية أي العصور أو الحضارة التي سبقت الإسكندر المقدوني (٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م). أما القسم الثاني فيسمونه بالحضارة الهلنستية للعصور التي تلت موت الإسكندر (٣٢٣ ق.م)

تعارف العلماء على تسمية العصر الجديد الذي تداخلت فيه العناصر الحضارية الشرقية و الغربية لتشكّل حضارة من نوع جديد باسم (العصر الهلنستي). و هي تسمية أطلقها المؤرخ الألماني (جوهان غوستاف دريزن) في نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر للدلالة على الفترة التي انتشرت فيها الحضارة الإغريقية في العالم غير الأغرقي بعد فتوحات الإسكندر.

و استخدم هذا المصطلح لتمييز الحضارة الجديدة عن الحضارة اليونانية أو الإغريقية التي عاصر العالم المتحضّر مرحلة نُضجها في القرنين الخامس و الرابع قبل الميلاد و التي عُرفت باسم الحضارة الهلينية.

ثانياً- حدود العصر الهيلنستي:

من الوجهة السياسية: يعتبر المؤرخون أنّ فترة الفتح المقدوني للشرق (٣٢٣ ق.م) هي بداية للعصر الهيلنستي. و فترة الفتح الروماني للشرق على يد الإمبراطور أوغسطس (العام ٣٠ ق.م) نهاية للعصر الهيلنستي.

أمّا من وجهة نظر الفلسفة اليونانية: فيمتد العصر الهيلنستي حتى العام ٥٣٩ مأي عندما أصدر الإمبراطور جوستينيان أمراً بإغلاق المدارس الفلسفية في أثينا.

- مع هذا فإنّه من الصعب جداً على أيّ مؤرّخ أن يضع بداية للعصر الهيلنستي أو نهاية له لعدة أسباب أهمها:

أ- لأنّ التاريخ وحدة حيّة متداخلة لا تنقسم بصورة آلية و لا تُحدّد بعام مُحدّد.

ب- لأنّ معالم العصر الهيلنستي بدأت قبل الإسكندر المقدوني بكثير و استمرت إلى ما بعد الفتح الروماني للشرق. فاليونان اقتبسوا الكثير من أسس حضارتهم و عناصرها عن المصريين و الفينيقيين و البابليين و هو ما يتضح من كتابات كبار المؤرخين اليونان كهيرودوت.

أضف إلى أنّ الرومان أنفسهم و لا سيما الإمبراطور أوغسطس لم يقفوا حائلاً في وجه الحضارة اليونانية بل على العكس شجعوا الحضارة اليونانية و نشرها في الشرق. و بقيت اللغة اليونانية هي لغة الثقافة خلال العصر الروماني.

ثالثاً- أعلام العصر الهيلنستي:

- أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م).

- فيليب الثاني المقدوني (٣٨٢ - ٣٣٦ ق.م).

- إيسوقراط (٤٣٦ - ٣٣٨ ق.م).

- ديموستينيس (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م).

- الإسكندر المقدوني الكبير (٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م).

- سلوقس الأول نيكاتور (٣١٢ - ٢٨١ ق.م)

- أنطيوخس الثالث الكبير (٣٢٣ - ١٨٧ ق.م)

- أنطيوخس الرابع أبيفانس (١٧٥ - ١٦١ ق.م)

- بطليموس الأول (٣٢٢ - ٢٨٤ ق.م).

- بطليموس الثاني فيلادلفوس (٢٨٤ - ٢٤٦ ق.م)

- كليوباترة السابعة (٥١ - ٣٠ ق.م)

رابعاً- المقدونيين حتى عهد الإسكندر الكبير:

١- موقع مقدونية:

- مقدونية مملكة في بلاد اليونان القديمة، عاصمتها كانت تُدعى بيلا (Bella).

- بدأت مقدونيا في الظهور في القرن التاسع قبل الميلاد، و كانت مُتمركزة في الزاوية الشمالية الشرقية لشبه الجزيرة اليونانية. كانت تحدها أبيروس من الغرب، بايونيا من الشمال، تراقيا من الشرق، تساليا من الجنوب.

أمّا اليوم فهي جمهورية من جمهوريات أوربة الشرقية يحدها من الشمال يوغسلافية، و من الجنوب اليونان، و من الشرق بلغاريا، و من الغرب ألبانيا.

و مقدونية في معظمها أرض جبلية ذات سهول قليلة الخصوبة، و يوجد في قسمها الشرقي العديد من مناجم الفضة. و يتكون الشعب المقدوني من أجناس متعددة و هم قبائل هندو أوروبية تمت إلى اليونان بصلة و تتكلم لهجة قريبة من لهجتهم. و لكنهم كانوا في حالة دائمة من التفكك و النزاعات و زاد في بؤسهم فقر طبيعة بلادهم بالمواد اللازمة للرقى و المرافق الضرورية للاتصال بالخارج، فظلوا يحتلون آخر درجة في سلم المدنية و الحضارة، و إن شابها في أنظمتهم السياسية و الاجتماعية اليونانية في العصر الهومري من حيث وجود الأمراء الإقطاعيين و وجود النظام العقاري الوسط الذي يجمع بين فكرة المشاع و فكرة الملكية الفردية، في حين لم يكن حكمهم الملكي يرتبط بأي قانون يحدد الخلافة، كما لم تكن قوتهم الجسدية المتميزة و شجاعتهم تلتزم بأي انضباط أو تدريب

٢- التاريخ السياسي لمقدونيا حتى عهد الإسكندر الكبير:

أ- الملك الإسكندر الأول (٤٩٨ - ٤٥٤ ق.م):

- كانت مقدونية في القرن الخامس قبل الميلاد تتبع الإمبراطورية الفارسية.

- الملك الإسكندر الأول كان أول ملك يخوض في سياسات بلاد اليونان، و يقلد اليونانيين في العادات و التقاليد و الثقافة، و عظم شأن الحضارة اليونانية في القرن التالي و ازدادت مقدونية قوة و عظمة.

- وقف الملك الإسكندر الأول خلال الحروب الفارسية اليونانية (٤٨٠ ق.م) مع الفرس و لكنه كان يخونهم سراً و ينقل أخبارهم إلى أثينا فكافأه الأثينيون بأن أسموه مواطناً يونانياً و سمحوا له بالاشتراك بالألعاب الأولمبية.

- في عهده أخذت العائلة المالكة في مقدونيا تدعي أنها يونانية و تُقلد اليونانيين في اللغة و العادات و التقاليد و تعمل على نشر الثقافة اليونانية بواسطة الأساتذة و المُدرّسين الذين تستقدمهم من بلاد اليونان.

ب- الملك الإسكندر الثاني (٣٧٠ - ٣٦٩ ق.م):

- حكم فترة قصيرة لا تتجاوز سنة.

- أسّس سلاح المشاة الذي يُعرف عند المقدونيين باسم(الرفاق الرجالة) و شكّل هذا السلاح أحد دعائم العرش الملكي المقدوني، و شكّل قوة موازية لسلاح الفرسان.

ج- الملك برديكاس الثالث(٣٦٩ - ٣٥٩ ق.م):

- عمل على تقوية المملكة المقدونية و توسيع رقعتها لكنّ الحظ لم يُسعفه في مواصلة ما خطّط له من تقوية لمملكته و إعلاء شأنها، إذ قُتل في معركة مع القبائل الإليرية التي تسكن سواحل الأدرياتيك و شمال شرق ألبانية الحالية. في العام ٣٥٩ ق.م، على الحدود الشرقية للملكة تاركاً خلفه مملكة تحيق بها الأخطار من كل جانب.

د- فيليب الثاني (٣٥٩ - ٣٣٦ ق.م):

- والد الإسكندر المقدوني الكبير.

- تولى العرش في فترة كان يُحيط بمقدونيا الأعداء من كل جانب.

- كان رجلاً نشيطاً طموحاً مُقتدراً في الحرب و السياسة، و أحد أمهر قادة الجيوش في العصور القديمة.

- عمل على تحضير شعبه، فوطن القبائل و أنشأ المدن، و وطّد مملكته في دائرة الحضارة اليونانية.

- وضع يده على مناجم الذهب و الفضة و استخرج معادنها.

- سكّ الدينار المقدوني الذي نافس بقوته الاقتصادية الدينار الفارسي و الدراخمة الأثينية.

- أسّس جيشاً قوياً بعد أن أدخل عليه تعديلات مبتكرة كان أهمها نظام الفيلق أو الفالانكس (Phalanx).

و الفالانكس هو تكتيك عسكري يعتمد على ترتيب الأفراد في الجيش على شكل رأس حربة يتقدمها رجل يحمل رمح بيد و الدرع باليد الأخرى، و يليه رجلان يحمل أحدهما رمحاً باليد اليمنى و درعاً باليسرى، و الآخر يُعاكسه في حمل أسلحته، يليهما أربعة رجال ثم ثمانية حتى نهاية الفيلق الذي يبلغ تعداد صفوفه ستة عشر صفّاً، و تتحرك الكتلة و كأنها درع شائكة لاخترق خطوط الأعداء.

- تمكّن من إنشاء أسطول كان بأشدّ الحاجة إليه لمقاومة أقوى أساطيل المنطقة حينها و هو الأسطول اليوناني.

- استمال إلى جانبه الخطيب اليوناني الأثيني (إيسوقراط) الذي كان كبير التأثير في بلاد اليونان و ظلّ على مدى ربع قرن يدعو إلى توحيد قوى بلاد اليونان و عقد الجهود لمحاربة الفرس بحجة الثأر منهم.

- بالرغم من أنّ مقدونية لم تتعرّض لأي غزو فارسي إلا أنّ الدعوة المقدونية للثأر من الفرس و السيطرة على إمبراطوريتهم كانت لهدفين: الهدف الأول هو استجلاب عواطف اليونانيين لحملهم على الاعتراف بالمقدونيين أنسباء لهم في العائلة اليونانية

بعد أن كانوا ينظرون إليهم نظرة فيها شيء من الذلّ و الاحتقار و يُشيرون إليهم باسم (برابرة الشمال).

أمّا الهدف الثاني فكان اقتصادياً، إذ كانت مقدونية دولة فقيرة، و كان على الملك فيليب الثاني و من بعده ولده الإسكندر الكبير واجب تدبير الأموال للإنفاق على جيشه و دولته الفقيرة.

- استغلّ انشغال اليونان بالحرب المقدسة الثالثة و أكّد سيطرته على جميع الشاطئ اليوناني المطلّ على بحر أيّجة، و بلغت حدوده الشمالية نهر الدانوب.

- دخل فيليب الثاني في نزاع مع أثينا و حلفائها مما أدى إلى اندلاع الحرب بينهما، و كانت أهم معارك تلك الحرب معركة خايرونية في العام ٣٣٨ ق.م التي قاد فيها الإسكندر ميسرة جيش أبيه و حقّق و هو في الثامنة عشرة من عمره نصراً باهراً.

- في العام ٣٣٧ ق.م دعا فيليب الثاني جميع المدن اليونانية إلى مؤتمر عام في كورنثة، فلبّت جميع المدن الدعوة باستثناء إسبارطة. و تمّ في هذا المؤتمر إقامة الحلف الهليني بزعامة فيليب الثاني. و في هذا المؤتمر تقرّر استقلال كل دولة من الدول الأعضاء في الحلف الهليني و ضمان سلامة حدودها. و في هذا المؤتمر تقرّر عزم الدول الأعضاء في الحلف الهليني على محاربة الفرس بقيادة مقدونية و إعداد جيش كبير لهذا الغرض. و في هذا المؤتمر تقرّر تحديد المعونة أو المساهمة الحربية الواجب على كل دولة من الدول الأعضاء دفعها.

- اغتيل الملك فيليب الثاني في العام ٣٣٦ ق.م بعد احتفاله مباشرة بزفاف ابنته كليوباترة على حليفه الإسكندر ملك إبيروس و نادى الجيش بابنه (ابن فيليب) الإسكندر ملكاً على مقدونيا و رئيساً للحلف الهليني.

خامساً: الملكة أولمبياس:

- والدة الإسكندر المقدوني الكبير و ذات التأثير المهم على حياته.
- تنتمي إلى مقاطعة أبيروس و كانت تدّعي الانتساب إلى البطل (أخيل) بطل إلياذة هوميروس.
- شقيقة الإسكندر ملك أبيروس آنذاك.
- تزوجها الملك فيليب الثاني في العام ٣٥٨ ق.م.
- يصفها المؤرخين بأنها كانت شرسة، عميقة الحقد، شديدة القسوة، سريعة الانتقام.
- اشتهرت بمداعبة الثعابين و الأفاعي، فكانت تلقّها حول خصرها، و تصطحبها إلى فراشها لترقد معها.
- عُرفت بمُشاركتها في طقوس الإله ديونيسوس إله الخمر. تلك الطقوس التي كانت تمتلئ بالسكر و العريضة.
- أدّت تصرفاتها و ممارستها إلى نفور زوجها فيليب منها فهجرها و اتجه إلى غيرها من النساء.
- كان لنفور فيليب من أولمبياس و هجرها أثر كبير على حياة الإسكندر، إذ قامت أولمبياس بإخبار ولدها الإسكندر أنّ والده ليس فيليب بل الإله زيوس كبير آلهة بلاد اليونان. فكان لهذه الفكرة و هذا النسب الإلهي عظيم الأثر في حياة الإسكندر الذي غرس في ذهنه أنّه ابن الإله زيوس.
- اتّهمها بعض المؤرخين بأنها هي التي كانت وراء اغتيال زوجها فيليب الثاني.